الهوية من منظور فلسفة الأديان

د. علي أبو الخير

عوامل بناء الهوية في القرآن الكريم

الإنسان هو محور اهتمام القرآن الكريم، وعليه تدور آياته الكريمة، ولكن الاهتمام بالإنسان كهدف قرآني لا يتطابق مع الفكر البشرى الذي يسعى إلى الارتقاء بالإنسان لإسعاده ماديًا ومعنويًّا أو حتى روحيًّا. هوية الإنسان في القرآن خليفة، حيث جاءت بالدعوة إلى رب العالمين وإلى الحق الذي يتساوى فيه أبناء آدم وحواء، وجاءت بذلك الآن إنسانًا واحدًا خلق الله فيه قوة الروح ما يكافىء العصبيات والضلالات جميًعا ويتغلب عليها ويجريها في غير مجراها[1]. وهوية الإنسان كخليفة لا تعني آدم عليه السلام وحده فما كان آدم بعينه ليفعل ذلك، ولكن الحوار في الآية الكريمة {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}[2] كان يدور عن الجنس البشري أو الإنسان الذي قرر الله خلقه[3]، فالخلافه هي مسؤولية عامة لا يجوز لفرد أن يستأثر بها أو أن يحتكر اللقب، وإنما يضطلع بها البشر المؤمنون الذين يقبلون التكليف ويتطوعون بتنفيذ إدارة الله بهذا الاستخلاف.

الهوية في القرآن هوية إنسانية عامة تحدد خصائص الإنسان بصفاته التي وضعها الله فيه يوم خلقه، بل قبل خلقه {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا}[4] ومن أجل بناء شخصية إنسانيه متكاملة حرة ومتميزة وفريدة فقد تطلب الأمر عدة عوامل لبناء الهوية الإنسانية العامة.

أولًا: عامل عقلي

حيث خلق الله العقل للإنسان وذلك للتميز بين الخطأ والصواب، ومن أجل العقل فقد تطلب حرية الاختيار والتي هي نتيجة للعقل وليست سببًا له، والقرآن الكريم حرص على إيقاظ العقل وإطلاق حرية إمعان النظر والفكر الضروري لحرية العقل والتفكير، لعدم جبر الإنسان لمعرفة الله إلا بعد تمحيص عقله لأن القرآن الكريم كان يخاطب أقوامًا ينكرون، وأقوامًا يشكرون، وأقوامًا يدينون بالتوراة والإنجيل، ويختلفون في مذاهب الربوبية والعبادة، وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذي نزل فيه وأبناء سائر العصور، ومن أمة العرب وسائر الأمم، فلزم

---

[1] عباس العقاد، **حقائق الإسلام وأباطيل خصومة** (مصر: القاهرة، مكتبة الأسرة، 1999)، الصفحة 114.

[2] سورة **البقرة**، الآية 30.

[3] محمد جلال كشك، **خواطر مسلم حول الجهاد، الأقليات، الإناجيل** (مصر: القاهر، منشورات العصر الحديث، 1985)، الصفحة 20.

[4] سورة **الأعراف**، الآية 172.

فيه تمحيص القول بالربوية عند كل خطاب، وقامت دعوته كلها على تحكيم العقل في التفرقة بين عبادة وعبادة، بين الإله الأحد وتلك الآلهة التي كانت تعبد يومئذ بغير برهان[1].

القرآن الكريم حرص من البداية على جعل العقل وسيلة الإنسان لمعرفة الخالق، وباقي المخلوقين على السواء، فكانت الوحدة تقوم على أساس قاعدة النظرة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وهيّأه لهذه الخلافة الإلهية في الأرض[2].

وقد كانت الظروف الإنسانية والحياتية في البداية ملائمة لأن تأخذ هذه النظرة دورها في تحقيق الوحدة واستمرارها باعتبار بساطة الحياة الاجتماعية وعدم وجود التعقيد في ظروفها[3].

فالعقل هو أول عوامل بناء الهوية الإنسانية، لأن الإنسان كما يصوره القرآن الكريم مخلوق مقدس خليفة لله في أرضه، هذه هي مسؤوليته وعليها تتحدد هويته العالمية، وعندما أرسل الله فيما بعد الرسل للأقوام الذين اتبعوا أهواءهم وتنكبوا طريق الهدى فعبدوا أوثانًا وأشركوا مع الله آلهةً أخرى، كان هؤلاء الرسل يتبعون طريق العقل أولًا لهداية أقوامهم، فالدين وسيلة لا غاية[4]. وعندما أمر الله الملائكة السجود لآدم {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس}[5] كان الأمر الإلهي تكريمًا لبني الإنسان أجمع. إعتبر الإنسان المركز والمحور الذي خلق الله من أجله كل المخلوقات، ولأنه كذلك فقد كرّمه الله جل علاه {ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر}[6]، {وصوّركم فأحسن صوركم}[7].

فالخطاب القرآني هو المتميز بإنطلاقه من الحقيقة الكاملة، من الجوهر الثابت، ليتعامل ويتفاعل بعد ذلك مع الفرع المتغير في الزمان والمكان، أي مع تطور حياة الإنسان والمجتمع، من أجل ذلك تميز القرآن الكريم في التعبير عن مصدر الحقيقة في الإنسان[8] وأولى هذه الحقائق ارتباط العقل في الإنسان بالوحى الإلهي الذي خلق الإنسان وميزه بالعقل. ومجال العقل، البحث في أسرار الكون والطبيعة، والعقل مناط التكليف وأساس المسؤولية، به يدرك الإنسان الأمور، وتعطيل القوة العقلية ينتج عنه الجهل من نور العلم الذي هو أساس الإيمان الحق والإعتقاد الصحيح والمعرفة اليقينية، وكتاب الله الكريم مليء بالأحكام والاستدلالات العقلية في ما يتعلق بالأمور الغيبية مثل :

---

[1] عباس العقاد، **الله** (القاهرة: دار الهلال)، الصفحة 72.

[2] السيد محمود باقر الحكيم، **الوحدة الإسلامية** (مصر: القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، 2001)، الصفحة 38.

[3] المصدر نفسه، الصفحة 39.

[4] فهمى هريدى، "الدين للناس والعكس ليس صحيحًا"، بحث منشور في مجلة **العربى** الكويتية، العدد 236، يوليو (تموز)، 1978، الصفحة 37.

[5] سورة **البقرة**، الآية 34.

[6] سورة **الإسراء**، الآية 70.

[7] سورة **التغابن**، الآية 3.

[8] بو عبد الله غلام الله، "دور العقل في الخطاب الديني"، بحث منشور ضمن اصدار وزارة الأوقاف بمصر (ضمن مجموعة باحثين في مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامى)، 2002، الصفحة 831.

{لو كان فيهما آلهة الّا الله لفسدتا}[1].

{ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض}[2].

ومنها ما يتعلق بأمور لا يستطيع العقل القاصر عن ادراكها، ولكن العقل القاصر هذا يدرك أن قوة أعظم هي التي خلقت وأبدعت وصورت، وهذا لا يتنافى مع التصور العقلى الذي ميز الإنسان.

{أمن خلق السماوات والأرض}[3]

{إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب}[4]

{إنما يتذكر أولوا الألباب}[5]

{أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده}[6]

وهي آيات تدل على أن عمليات التعقل والتفكير إستندت على المشاهدة التي هي أقوى الأدلّة على التفكير (العقلي)، ولما لا، والله سبحانه أمر الإنسان بطلب البرهان على كل حقيقة تعرض عليه، وقد أخرج القرآن أكثر من مرة أهل الملل المخالفة، وأعتبر أن كل كلام لا يعتمد على برهان لا يكون علمًا ولا يرمز إلى مرتبة العلم بل هو فرض أو تخمين وهو في أحسن الأحوال ظنّ لا يصل إلى العلم[7] والقرآن الكريم ينص على:

{قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}[8]

{وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنون}[9].

ثانيًا: العامل الإرادي لبناء الهوية

حبا الله الإنسان بالإرادة وهي تلك التي تشمل أوجه السلوك الإنساني وتنظيم موقفه وعلاقته بخيره ومجتمعه على كافة مستويات هذا المجتمع بل علاقته بالوجود كله، بكائناته العاقلة وغير العاقلة، لأنه هو الخليفة المتصرف في ملكية الله سبحانه وتعالى بموجب استخلاف المالك له. وفي حدود ما قرره المالك جل وعلا، لقد شاءت إرادة الله أن يختلف الناس وأن تتنوع الحضارات وتتمايز الأمم وتتعدد المعتقدات، لذلك فالقرآن الكريم لم يبشّر أبدًا بوحدة الجنس البشرى في عقيدة واحدة (ولو كانت عقيدة التوحيد) فالقرآن الكريم يقول: {وجعلناكم شعوبًا وقبائل

---

[1] سورة **الأنبياء**، الآية 22.

[2] سورة **المؤمنون**، الآية 91.

[3] سورة **النمل**، الآية 60.

[4] سورة **آل عمران**، الآية 191.

[5] سورة **الرعد**، الآية 19.

[6] سورة **النمل**، الآية 64.

[7] د. عبد المعطى محمد بيومى، "دور العقل في الخطاب الدينى"، مصدر سابق، الصفحة 787.

[8] سورة **البقرة**، الآية 111.

[9] سورة **الجاثية**، الآية 24.

لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم}[1]، للتعارف المتنوع بين شعوب الأرض وقبائلها بكل أديانها ومذاهبها، والأكرم هو الأتقى عند الله وليس عند الإنسان، فإرادة الإنسان تقف عند التبليغ بالتي هي أحسن والإنسان المؤمن بالله هو الأكرم، ولكنه ليس الذي يقوم بفرض التوحيد على باقي الشعوب بحد السيف فـ {لا إكراه في الدين}[2]. إن الإنسان يتحمل مسؤولية إختياره بإرادته، فلا شك أن وحدة الجنس البشري في فكر واحد وانتفاء أي معارضة أو خلاف ينهي حرية الإرادة، ومن ثم تسقط المسؤولية[3]. لقد حدد الله للإنسان إرادته الحرة التي جاءت عبر المحاولات والخطأ في المسيرة الإنسانية، ولكن الإنسان يتوجّس من المخالفة، ويندفع غريزيًّا إلى إزالة التعدد إمّا بالإبتلاع أو بالذوبان فيه[4]. حاولت حضارات ابتلاع المخالفين أو تحويلهم إلى مذاهبها وأديانها من خلال التنكيل والتعذيب، وكل الحضارات التي قامت على فكر بشري بشّرت بوحدة الجنس البشري بإرادتها وتحت إعلامها وفي ظل فلسفتها، التي (إعتقدت) أنها لخير البشرية كافة، وادعت أنها بتحقيق هذا الخير بالقوة المسلحة وإجبار الناس على الدخول في نظامها أو في ملكوت الله، كل هذه الحضارات انتهت بقهر الكيانات المخالفة واستعمارها وإخضاع مصالحهم وتطورهم لمصالحها هي.

وما من حضارة استطاعت أن تدخل كل الناس في نظامها لأن ذلك مخالف لإرادة الله، وإرادة الإنسان أيضًا التي ترفض القهر والكبت فضلًا عن فرض الرأي بالقوة ولو كان فيه خير البشرية، ولذلك جاءت الآيات القرآنية الكثيرة تؤكد حق الإرادة للإنسان والتي هي أحد عوامل بناء هويّته.

{فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر}[5]

{ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}[6]

القرآن الكريم إذن أعطى الحصانة الإنسانية لإرادة البشر مجتمعين وأفرادًا هذه الحصانة الإنسانية تفرض على الجماعة الصالحة أو المؤمنين الصالحين حماية كل البشر من الطواغيت أيا كانت دياناتهم لجعل الإرادة الحرة وحدها هي التي تجذب غير المؤمن للإنضمام للجماعة الصالحة حتى لا تنتفي إرادة الإنسان وتتعرض المجتمعات للخطر عندما تتعرض لمحاولات الدول الإستعلائية في فرض إراداتها على مقدارات دول أخرى، تحت نفس الشعار القديم وهو هداية البشر وتوحيدهم في مجتمع واحد أو الدخول في دين واحد.

ثالثًا: المنهج التربوي و الثقافي لبناء الهوية

---

[1] سورة **الحجرات**، الآية 13.

[2] سورة **البقرة**، الآية 256.

[3] **خواطر مسلم**، مصدر سابق، الصفحة 21.

[4] المصدر نفسه.

[5] سورة **الكهف**، الآية 29.

[6] سورة **يونس**، الآية 99.

{وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما رغدا، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين}[1]

لقد كانت التربية الإلهية لآدم عليه السلام هي أول معالم تحديد الهوية الإنسانية، فقد نهى الله آدم عن الإقتراب من الشجرة، وهو نهي إختيار لا نهي إجبار، وإلا لكان إسقاطًا لحرية الإختيار، وقد إقترنت الدعوة القرآنية لكل البشر بالإقتداء بالرسل كمنهج تربوي ثقافي .

{وعلّم آدم الأسماء كلها}[2] لقد كان تعليم الله لآدم هو بذرة الثقافة الإلهية للإنسان لكي يكون عالمًا بكل شيء بأسمائها وصفاتها، أسماء الإنسان والحيوان والنبات والجماد، علم كامل من الثقافة تميز بها الإنسان لكي يتمكن من عملية الإستخلاف التي بسببها خلقه الله.

ولا يمكن للإنسان حسم قضايا الإيمان والكفر إلا بالثقافة التي تميزه عن باقي المخلوقات، الثقافة ومفرداتها هي التي حددت مسيرة الإنسان من أول آدم حتى العصر الحديث. لقد علّم الله الإنسان الأسماء والعلوم وحدّد لهم طرق الإستفاذة من العلوم، ثم منحه نبذات يسيرة في كيفية التعامل مع المخلوقات من باب العلم:

{الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد}[3]

{وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس}[4]

{والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع}[5]

{الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون}[6]

{وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر}[7]

{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}[8]

{وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين}[9].

وأقترنت الثقافة القرآنية بالتربية الإلهية، فالإقتداء بالرسل أهم وأبرز المعالم التربوية القرآنية التي تحدد للإنسان طريقه نحو الرفاه الإنساني الديني والدنيوي، الإقتصادي والإجتماعي والسياسي، وحرص القرآن الكريم على مخاطبة المؤمنين عند توجيه الخطاب التربوى بيا أيها الذين آمنوا، تزكية لهم وتربية دينية تعتمد على العاطفة والتعقل.

---

[1] سورة **البقرة**، الآية 35.

[2] سورة **البقرة**، الآية 31.

[3] سورة **الرعد**، الآية 8.

[4] سورة **الحديد**، الآية 25.

[5] سورة **النحل**، الآية 5.

[6] سورة **يس**، الآية 80.

[7] سورة **النحل**، الآية 12.

[8] سورة **النحل**، الآية 18.

[9] سورة الرعد، الآية 3.

{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}[1]

{ذلك بأن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[2]

{يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض}[3].

وفي القصص القرآني أسلوب تربوي يعتمد الحجة والمنطق، يعطي العبرة للمكذبين بالرسل وبدعوتهم إلى الإخلاص في توحيد الله وعبادته ليكون بحق الخليفة التي يستحق شرف الخلافة في الأرض بعد أن سخّر له كل ما في الكون لخدمته.

الجماعة المؤمنة التي ستقوم بالتبليغ هي التي ستنفذ المنهج التربوي الذي يرفض التعصب الممقوت، ويرفض تقسيم الناس بسبب الطبقات الإجتماعية التي ينتمون إليها.

رابعًا: النفحة الإيمانية لبناء الهوية

لم يترك الله الإنسان لعقله فقط بل منحه دفعة إيمانية قوية، روحانية خالصة تعمر قلبه حتى يتمكن من تقبل الصدمات الحياتية والروحانية التي تواجهه أثناء مسيرة حياته، وهي نعمة إلهية للإنسان. يقول الحق في قرآنه الكريم: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين}[4]، النفحة الإيمانية في القلب الذي يملك الحدس والوجدان والعواطف فإذا كان العقل يفكر في السموات والأرض والكون، ويصل بالتالي إلى نعمة الإيمان بخالق الكون، فإن الله يربط على قلبه هذا الإيمان فلا يعود للتشكك في إيمانه، ولا يصبح العقل مصدر نقمة إن هو فكر في الغيبيات الإلهية وفي ذات الله جل شأنه، فطالما وصل لاقتناع بأن خلق هذا الكون ليس عبثًا، تغمره النفحة بأنوارها القدسية فيثبت على الحق الذي هداه الله إليه، فيتفرغ العقل لإعمار الكون واستغلال كل موارده لسعادة البشر على اختلاف مللهم ونحلهم.

والنفحة الإيمانية تفطر الإنسان على حب الخير ورفض الظلم ونجدة المظلوم وايثار الآخر على النفس ولو كان بها خصاصة، مناط التكليف العقل، ومناط الإيمان القلب وهما توأمان متلازمان ضروريان لحياة الإنسان واختياره، وهما أساس كل دين إلهي. فمنذ نوح وحتى محمد صلوات الله عليهم، والدين عند جميع الأمم أول ما يمتزج بالقلوب ويرسخ في الأفئدة وتصطبغ النفوس بعقائده، فهو سلطان الروح ومرشدها، فلم يترك الله الإنسان سدى بل اعطاه كل الملكات الفطرية والتعليمية لكي يصل بنفسه إلى الحق المبين.

هوية الإنسان في التوراة

---

[1] سورة الأنعام، الآية 90.

[2] سورة الرعد، الآية 11.

[3] سورة فاطر، الآية 3.

[4] سورة **القصص**، الآية 10.

حددت التوراة هوية الإنسان ببركة الرب التي منحها لإبراهيم عليه السلام، وتلك البركه التي يتبارك بها، تميز الإنسان الصالح والإنسان غير الصالح. ففي سفر التكوين خطاب من الرب لإبراهيم: "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض"[1] هذه البركه خرجت من إبراهيم، من نسله الإسحاقي والإسماعيلي على السواء، وإنتشرت دعوته عبر ذريته من الأنبياء والأصفياء، فشملت معظم الجنس البشري، والبركة التي ذكرتها التوراة تختص بعقيدة التوحيد التي انحرف عنها البشر حتى اغرقهم الله بالطوفان أثناء نبوّة نوح عليه السلام، لذا كان وجود شعب كامل يدين بعقيدة التوحيد الإبراهيمية ضرورة لازمة لكي تنتشر دعوة ابراهيم عبر ذريته، وهذا يتفق وما جاء في القرآن الكريم: {إني جاعلك للناس أماما}[2] ولا يعني الإمام للناس سوى تحديد هوية كل الناس، بإعتبار الإنسان هو نفسه المخلوق المقدس الذي كرمه الله. إبراهيم الذي جعله الله أبا لجمهور من الأمم هو الذي منحه الله ذرية تعرف الله وتعبده وتوحده وعليها عبء نشر دعوة التوحيد تلك لتتحدد مسؤولية الدعاة من ذرية ابراهيم عليه السلام.

التوراه ليس فيها ذكر لاستخلاف الله للإنسان في الأرض، ولكن المؤكد أن التوراه قبل التحريف كان بها إشارة الى هذا الاستخلاف ففي سفر التكوين "أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم، لإني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرًا جدًا وأجعلك أممًا، وملوك منك يخرجون، وأتم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًا"[3] هذا العهد هو استخلاف ابراهيم وذريته للأرض، وهو استخلاف للإنسان الصالح، الذي يستحق الإستخلاف، وليس المقصود بجعله أبا لجمهور من الأمم؛ أن تخرج هذه الأمم من صلبه، بل أن يكون لهم إمامًا يقتدون به في سيرهم الله تعالى، وأيضًا فإن الوعد له من الله تعالى أن يكون من نسله أنبياء وأئمة يدعون الناس لطاعة الله وعبادته[4]. ويفهم ضمنا من استخلاف ابراهيم وذريته وتجلي دعوته بين أمم الأرض أنّ الإستخلاف أعطي للإنسان في الأول، ولما عهده نزغ الإنسان إلى الشر والجهل جعل قضية الاستخلاف تختصر في ابراهيم ودعوته. التوراة إذًا حدّدت هوية الإنسان الذي يجب أن يحكم وخصائص هذا الحاكم المؤمن.

على أن التوراة، ونقصد بها العهد القديم ظلت تدافع عن الإنسان وتميّزه عن سائر المخلوقات فقد رتب العهد القديم نشأة الكون في ستة أدوار كل دور منها سمى يومًا، ففي الأيام الثلاثة الأولى خلق النور ثم الماء، ثم فصل بين ماء أعلى وماء أسفل، فكانت السماء والأرض، وفي الأيام الثلاثة الأخرى ظهرت نباتات الأرض والكواكب في السماء، وبها ظهر الليل والنهار، ثم ظهرت زحافات الماء والطيور واخرجت الأرض أنفسًا حية من الحشرات والبهائم، وأخيرًا ظهر الإنسان[5].

---

[1] سفر التكوين، 18/22.

[2] سورة **البقرة**، الآية 124.

[3] سفر تكوين، 9/17.

[4] تامر مصطفى، **بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار** (بيروت: مركز الغدير للدرسات الإسلامية، 1998)، الصفحة 46.

[5] د. عبد الجليل شلب، **اليهود واليهودية** (القاهرة: كتاب اليوم، 1997)، الصفحة 162.

وفي هذا الترتيب يبدو منطق جيد، خلقت الأشياء الدنيا الأساسية أولًا، ثم ظهر بعدها ما يحتاج إليها وتتوقف حياته عليها، فالعشب لا يوجد إلا بعد ظهور الأرض وبعد الماء، والحيوانات تحتاج الى الماء والعشب، والإنسان يحتاج إليها جميعًا، فخُلق بعدها، وهو سيّدها وكلها مُسخرة له.

ولكن مع تبني قبائل إسرائيل للمفهوم الاحتكاري للتوحيد، فإن مفسري التوراة ومحرفيها أخذوا يضيّقون من انتشار التوحيد بين الأمم وجعلوا من شعب إسرائيل وحده هو المعنى بعناية "يهوا" إله إسرائيل، وإن محور التاريخ الإنساني يدور حول تلك القبائل التوراتية، وإن هوية الشعب الإسرائيلي هوية توراتيه تلموديّه ، فاليهود الذين تخلّوا عن تعاليم الرب حاقت بهم لعناته وأصابتهم نكساته، ورغم إنحراف اليهود عن تعاليم الأنبياء فقد ظلوا يعتبرون "يهوا" راعي الأمة الإسرائيلية، وإن التوراة والتلمود تدور حول الإنسان الإسرائيلى، وإن الوسيلة الوحيدة لارتقاء الجنس البشرى تمثُل في حكم الإسرائيليين للعالم، وإن الإسرائيليين عليهم أن يرحلوا ومعهم الكتاب المقدس إلى الأرض المقدسه لتكون أورشليم عاصمة العالم. وفي كل موطن يعيشون فيه هو مكان مؤقت للعودة الميمونة، للتحضير لعودة المسيح الذي يحكم العالم من داخل أسوار مدينة الله في بيت المقدس.

الإنسان في التوراة، إذًا، إنحصر في الإنسان الإسرائيلي دون غيره، ميّزت الغربه هذا الإنسان وجعلته يعيش في أوهام العودة ففي المزامير[1]:

"على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا عندما تذكرنا صهيون
على الصفاف في وسطها علّقنا أعوادنا
كيف نرنّم ترنيمه الرب في أرض غريبه
إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني".

هكذا تميز الإنسان اليهودى المشتت الغريب، اشتياق العودة، وحب للوطن المفقود وكراهية للأرض التي يعيشون فيها، والى جانب ذلك افتخار بأنهم شعب منفرد متميز خلق الله الكون من أجله، وبركة الله تجلّت فيه وحده. وتوارثوا هذا الإفتخار وتأصّل في نفوسهم وأثمر غرورًا، فظنّوا أنفسهم شعب الله المختار وأن بقية الخلق هم الأمم التي لا ترقى الى مرتبة إنسانية، يقول المفكر البريطاني أرنولد توبينبى عن هذه العقلية الإسرائلية: "إن النفسية التي تدمغالـ يهود ي أساسها خطيئتهم القاتلة التي ارتكبوها في حق أنفسهم، إذ كانوا في سالف العصور الشعب الوحيد الذي بلغ مكانة روحانية سامية بفضل اعتناقه وحدانية الله، و بلغوا مكانة روحية سامية دون بقية الشعوب، لكن اليهود بعد أن زوّدهم الله بهذه الحقيقه المطلقة الخالدة، وأودع فيهم فراسة روحانية لا تبارى، تركوا العنان لأنانيتهم فاستهواهم سراب دنيوي خادع، إذ توهموا أن السمو الروحي الذي بلغوه إنما خلعه الله عليهم وحدهم بموجب عقد أبدي يجعل منهم شعب الله المختار"[2].

---

[1] المزامير، 137.

[2] إبراهيم خليل أحمد، **محمد في التوراه والإنجيل والقرآن** (القاهرة، مكتبة الوعى العربي)، الصفحة 53.

هذا الاعتقاد اليهودي في الاختيار الإلهي لهم انعكس على اعتقادهم في الألوهية "وأعطيتهم قلبًا ليعرفوا إني أنا الرب فيكونوا لي شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا"[1] وإنه ليتبين أنهم ظلوا يضيّقون أفق عباده الله، ويحصرون مجال الحظوة عندهم جيلًا بعد جيل، فكان شعب المختار في مبدأ الأمر عامًا شاملًا لقوم إبراهيم ثم أصبح بعد بضعة قرون محصورًا على قوم يعقوب، ثم أصبح بعد ذلك محصورًا على قوم موسى وحدهم، ثم على أبناء داود وعلى من يدينون لعرشه بالولاء ومن ذريته. كان ينبغي أن يظهر المسيح المخلّص لهم في أواخر الزمان، لقد ظل اليهود على ولائهم لفكرة التفوق والعنصرية التي تتناقض تمامًا مع الفطره التي فطر الله الناس –كل الناس– عليها والتي لا تميّز شعبًا عن شعب أو فردًا عن فرد. وإذا علمنا أن اليهود تفرقوا في البلاد وتأثروا بثقافات هذه البلاد، علمنا أيضًا ان هذا التأثر لم يقض إطلاقا على تلك العقيده العنصرية، ولذلك فإن الدعوة الصهيونية لم تتخل عن قوميتها. وقادة الصهيونية الأوائل كهرتزل وحاييم وايزمان وبن جوريون، كانوا علمانيين ولكن ظلّ إخلاصهم للقومية اليهودية هو المحرك لجلب التأييد اليهودي وغير اليهودي لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين. يصف ليوبنسكر المفكر اليهودي في المسأله الملتهبة اليهود بأنهم[2] موتى أمام الحياة والأحياء، أجانب أمام المواطنين، غرباء في الأرض التي ولدوا فيها.

وهو يلخص هوية الإنسان الإسرائيلي من مضمون فهمه للتوراة، على أن هوية الإنسان غير اليهودي أو الجوييم، هوية تأتي في مرتبة أدنى من هوية الإنسان اليهودي، فنفوس اليهود وحدها مخلوقة من نفس الله وإنّ عنصرهم من عنصره حتى لو إرتكبوا المعاصي وتخلوا عن تعاليم يهوا، فهم وحدهم أبناء الله الأطهار جوهرًا، كما يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية أصلًا تكريمًا لهم، على حين أنه خلق غيرهم "الجوييم" من طينة شيطانية أو حيوانية، ولم يخلق الجوييم إلا لخدمة اليهود، ولم يمنحهم الصورة البشرية إلا محاكاة لليهود لكي يسهل التعامل بين الطائفتين إكرامًا لليهود، اذ بغير هذا التشابه الظاهري –مع إختلاف العنصرين– لا يمكن التفاهم بين طائفة السادة المختارين وطائفة العبيد المحتقرين[3].

فالهوية في التوراة هوية يهودية عنصرية تفتخر بالعرق أكثر من الدين، وتنتصر للقوميّة أكثر من الإله، هوية خادمة لليهودية المتفوقه العنصرية، لا مجال لها سوى إثبات التفوق الإسرائيلي وتفرد تلك القبائل اليعقوبية.

هوية الإنسان في الأناجيل

لم يتردد لقب الإنسان في دين آخر مثل دين المسيح عليه السلام، وإضافة ابن الى الإنسان تحدد شخصية عيسى فهو ابن الإنسان ودعوته للإنسان الخاطىء قبل المؤمن. في سفر أشعياء جاءت بشاره بالمسيح "روح السيد الرب

---

[1] سفر تكوين، 10/18.

[2] **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**، مصدر سابق، الصفحة 39.

[3] **اليهود واليهودية**، مصدر سابق، الصفحة 691.

عليّ لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنّة مقبولة للرب وبيوم انتقام لالهنا ،لأعزي كل النائحين"[1].

فابن الإنسان كلمة لازمة للسيد المسيح تقديرًا عن شريعة الحب التي نادي بها، لأن الإنسان المقدّس هو محور الكون وسيده، وبشريعة الحب قضي على شريعة الكبرياء والرياء وعلم الناس أنّ الوصايا الإلهية لم تجعل للزهو والدعوى والتيه بالنفس، ووصم الأخرين بالتهم والذنوب، ولكنها جعلت لحساب نفسك قبل حساب غيرك، وللعطف على الناس بالرحمة والمعذرة، لا لاقتناص الزلات وإستطلاع العيوب.[2]

والمسيح نفسه موضوع الأنجيل، وهو ابن الإنسان، ولسنا بصدد الحديث عن نقض عقيده التثليث وزعمها بأن المسيح ابن الله، ولكنا نركز على حقيقة أن هوية الإنسان عند الله في الإنجيل تتلخص في كون المسيح ابن الإنسان وليس في كل الأناجيل عن المسيح أنه ابن الإنسانة (لأنه ولد بغير أب) مما يؤكد أن الإنسان الأب للمسيح هو الإنسان كما اصطفاه الله ليكون خليفة له في الأرض، أو في ملكوت الله. فالمسيح يقول: "الحق أقول لكم أن من القيام ها هنا قومًا لايذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته"[3]. "فإني أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان"[4]. وقال لهم ابن الإنسان سيد السبت أيضًا[5] "بل لتعلموا ان ابن الإنسان له سلطة غفران الذنوب"[6]. لأن ابن الإنسان جاء ينشد وينقذ الضالين[7]، يتّضح أن ابن الإنسان جاء لكي يقيم ملكوت الله في الأرض وقد فهم المؤمنون الأوائل، أو الحواريون، هذا الملكوت على أنه الدار الأخرة وفهمه اللاحقون كذلك، وإن كانت الإشارة إلى ملكوت الله في دعوة ابن الإنسان قد تبين أن الملكوت الأرضي في الحياه كان له شأن كبير في دعوة المسيح على أساس شريعة الحب التي جاء بها، كان المسيح في بداية دعوته يكرز بين اليهود باعتباره أحد أنبيائهم، ولكن تحولت الدعوة من خاصة إلى عامة ومن أمه واحدة إلى سائر الأمم بل إلى الإنسان فردًا كان أو عنوانًا يشمل كل إنسان[8]. والحقيقة أن الدعوة اليهوديّه عبر أطوارها كانت خالية من التسامح، خالية من الحب لغير اليهود، وإن تلك الدعوة اقتصرت على التفوق والتعصب، لذا كانت دعوة المسيح تكميلًا وتتويجًا وسدًّا للنقص في الشريعة اليهودية، لذلك قال المسيح: "لا تظنوا أنّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل"[9]. ولكن اليهود رفضوا دعوته واعتقدوا أن المسيح المنتظر لا يكون

---

[1] محمد خليفة التونسي، **بروتوكلات حكماء صهيون** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1980)، الصفحة 51.

[2] سفر أشعياء، 61/1-3.

[3] عباس محمود العقاد، **حياة المسيح** (مصر: كتاب اليوم، 1953)، الصفحة 133.

[4] انجيل متى، 18/16.

[5] انجيل متى، 23/10.

[6] انجيل لوقا، 16/16.

[7] انجيل لوقا، 24/5.

[8] انجيل لوقا، 8/19-10.

[9] **حياة المسيح**، مصدر سابق، الصفحة 160.

إلا ملكًا يكمل مسيرة قبائل إسرائيل لإقامة مملكة يهوذا في أورشليم، ولكن أورشليم صارت شبحًا هزيلًا في عصر المسيح، إنتهك اليهود حرمتها ولم يتورعوا عن تدنيس الهيكل وتحويله الى مغارة لصوص، فأيقن المسيح أن المدينة المقدسة التي أضحت مدينة رذيله سوف تنهدم "فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبيتك فيك، ولايتركون فيك حجرًا على حجر لأنك لم تعرف زمان إفتقادك"[1].

تميّزت دعوة المسيح بالحب والتسامح ولم تتميز بالجماعة الصالحة المتكاملة من بعده والتي كان عليها أن تكرز بملكوت الله الذي بشر به يسوع، وضاع الإنسان المسيحي بين كلمتي ابن الإنسان الحقيقية، وابن الله الوهمية، فاختزن اللاوعي اضطراب المعاني الإلهية ذات الصلة بالوعي والوضعية التي إقتصرت على لاهوت المسيح، على أن المسيح نفسه كان يرمي الى الإرتقاء بالإنسان إلى نور الإيمان الكامل وصدق الإستمساك بروح الشريعة عن يقين لا بطقومها.

ثم إن دعوة المسيح تحوّلت بعد عصر الحواريين إلى دعوة لا تمّت الي دين المسيح بصلة، فباسم المسيح أخذ الوثنيون يشيدون حضارتهم تحت شعار ابن الله الوحيد، ومع تقدم الزمن لم يعد هناك الإرتباط بين دعوة النبي المتواضع الرقيق الخلق، الذي قال إن رسالته هي فقط التبشير بكلام الله، والتكريز بين الأمم بالقادم باسم الرب، والتنبؤ بمجيءآخر الرسل أو المعزى الذي سيشهد له، وبين ماتحمله الكنيسه من توجهات غير قائمة على دعوة المسيح.

فإذا كانت دعوة اليهود قائمة على فكرة شعب الله المختار، فإن الدعوة المسيحية الأولى كانت تهدم هذه الفكرة أو بمعنى عصري حديث فإنّ الأناجيل الأربعة أول وثائق معادية للسامية.

على ذلك فإن هوية الإنسان المحصورة داخل البيت الإسرائيلي خرجت بمسيحيتها الى نطاق أكثر عالمية وأكثر إنتشارًا لا على حقيقة العقيدة، بل على حتمية شرعيه حماية تلك العقيدة ونشرها بحد السيف، لا على أساس شريعة الحب، ولكن على شريعة الإستعلاء على الخلق تلك الشريعة وإن ألقت الأضواء على مرحلة متقدمة من تاريخ الإنسان تثبت أن ذلك المخلوق المقدس مرشح من جديد ومهيّأ لاستقبال أخر الدعوات التي يجب أن تلهم الجماعة الصالحة المؤمنة بحقيقة موقفها الجديد والمسؤول عن الاستخلاف الحقيقي لله في أرضه.

دور القرآن الكريم في صياغة الهوية

يفرّق القرآن الكريم بين هويّتين، هوية إنسانية عالميّة تشمل كل الجنس البشري، وهويّة ايمانية تقتصر على المؤمنين بوحدانية الله ويتخلقون بخلق القرآن وبسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

[1] انجيل متى، 5-17-19.

يخاطب القرآن الكريم كل البشر من منظور إنساني متميز بالعقل والإرادة والإدراك والدفعة الإيمانية التي فطر الله الناس عليها، {يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم}[1]، {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه}[2]، {يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبًا}[3]، {يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وإنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}[4] (65) كما أنه يخاطب النبي الكريم بأنه رسول الى كل البشر على إختلاف ألسنتهم وألوانهم: {وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين}[5]، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا}[6]، {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[7] وفاتحة القرن التي يتلوها المؤمنون في صلواتهم تنصّ صراحة على أنّ الله رب العالمين {الحمد لله رب العالمين}[8].

ولكن الهوية الإنسانية في القرآن الكريم قد ميّزت هويّات البشر بحسب إنتماءاتهم العقائدية؛ هوية للوثنيين وهوية للمشركين وهوية لأصحاب الديانات السماوية، فالهوية العامة تشمل كل البشر، أما الهوية الخاصة المميزة التي تندرج تحت المفهوم الذاتي هي تلك التي افترق الناس حولها، وهي التي ميّز الله البشر من خلال تصنيفهم الإنساني. فهناك هوية وثنية كقوم نوح وصالح وهود، وقد أهلكهم الله بذنوبهم الشركية جراء عدم تصديقهم أنبياء الله. وهناك هوية شركية تظهر معالمها كثيرًا في قريش قبل الإسلام، وهم أهل الجاهلية الذين أشركوا الأصنام مع الله وقالوا إنما يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى: {وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}[9].

وهناك هوية كتابية تخص اليهود والنصارى، وقد ميّز القرآن هؤلاء بأنهم أهل الكتاب، وهي كلمة لطيفة ومعبرة ومؤثرة، فآية النبي ومعجزته هي القرآن الكريم، والقرآن ماهو إلّا كتاب معجز خالد، وإطلاق صفة أهل الكتاب على اليهود والنصارى صفة ملائمة بأقوام عرفوا الله وإن ضلوا الطريق في عبادته، وقد حاول القرآن الكريم كثيرًا أن يعالج مجمل إنحرافات الجنس البشري وأسباب الإختلاف التي كانوا عليها خصوصًا قضية الشرك بالله تعالى، وقد أرجع القرآن أصل الإختلافات إلى الهوى والتعصب للأسماء والشعارات بعيدًا عن الالتزامات العلمية والسلوكية كقول اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه، أو قول النصارى بأن المسيح ابن الله الوحيد.

والشيء الجدير بالذكر أن القرآن حرص علي تفنيد مزاعم الوثنيين والكفار وأهل الكتاب ودعوتهم إلى الأصل الجامع المشترك للإنسان قبل الإختلاف، و القرآن ليس فيه آية واحدة تدعوا إلى فرض العقيدة بقوة

---

[1] سورة **الإنفطار**، الآية 6.

[2] سورة **الانشقاق**، الآية 6.

[3] سورة **البقرة**، الآية 168

[4] –سورة **الحجرات**، الأية 13

[5] سورة **الأنبياء**، الآية 107.

[6] سورة **الفرقان**، الآية 1.

[7] سورة سبأ، الآية 28.

[8] سورة **الفاتحة**، الآية 2.

[9] سورة **الزمر**، الآية 3.

السيف، والجهاد للدفاع عن النفس والعرض والأرض والدفاع عن المؤمنين لكي يتمكنوا من عبادة الله ونشر دين الله بالمجادلة وبالتي هي أحسن.

القرآن يؤكّد أن الإيمان شوق عميق من أشواق النفس الإنسانية ينساق إليها بباعث من فطرته[1]، وهذه الفطرة هي التي نقول عنها بأنها هوية المؤمنين، فالقرآن يؤكد وحده مضمون دعوة الأنبياء المتعددين عند استعراض رسالتهم إلى أقوامهم، كما الإسلامية الصحيحة هي عدم التفريق بين الرسل والإيمان بهم جميعًا مع إحترامهم والإنكار على من يفرق بين ولاء الرسل لأنهم جميعًا رسل الله تعالى[2]، {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله}[3]، {وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى، وأوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون}[4]. فالهوية الإيمانية للمؤمنين هي نفسها الفطره أو الدفعه الإيمانية التي ملأ الله بها صدور المؤمنين الموحدين بالله، وليست الغاية الإيمانية وحدها القادرة على تحديد هوية المؤمنين، فهناك العقل والإرادة، بالإضافة الى أن هوية المؤمن ليست بأي حال استعلائية، فهي عقيدة ملزمة العقل للمؤمنين أن يتحلّوا بالأخلاق الفاضلة ويدافعون عن المستضعفين بصرف النظر عن جنسيتهم وعقيدتهم، فهي حيوية رافضة للظلم داعية الى الخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في القرآن الأسس التي تقوم عليها هوية المؤمنين، منها الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان بالأنبياء والرسل {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا}[5].

الذات الإيمانية أرجعها الله جل شأنه إلى الأصل الإبراهيمي فهو أبو الأنبياء وهو الذي تجلّت دعوته في كل الأمم، كذلك جاء التأكيد في القرآن على أن إبراهيم كان مسلمًا حنيفًا ولم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، {وما كان ابراهيم يهوديًّا ولانصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين}[6]، وعلى هذا الأساس الإيماني دعا القرآن أهل الكتاب بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من خلال التأكيد على بشارته في التوراة والأنجيل.

القرآن الكريم حرص على ترك الإختيار للبشر في الإيمان والكفر، وأعلن عن ضرورة مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، والدعوة الى الإيمان تنطلق أصلا من واقع نقاشي حيوي يثبت أن الإسلام ما جاء لكي يوحّد الجنس البشري لأنه لم يبشر بوحدة الجنس البشري في عقيدة واحدة، وقد شاء الله هذا التمايز والتعدد ليتحقق به التعاون بين البشر، والله طلب من المسلمين حماية هذا التنوع من خلال إطلاق حرية الإختيار وهذا يريح الضمير ويرجع الذات المؤمنه الى فطرتها التي فطر الله الناس عليها، والإسلام شامل لمناهج الحياة جميعها مما يحمي المؤمن

---

[1] **الوحدة الإسلامية**، مصدر سابق، الصفحة 56.

[2] **حقائق الاسلام**، مصدر سابق، الصفحة 77.

[3] سورة **البقرة**، الآية 285.

[4] سورة **البقرة**، الآية 236.

[5] سورة **الشورى**، الآية 13.

[6] سورة **آل عمران**، الآية 67

من إزدواج الشخصية، فالمؤمن غير حائر بين نوازع الجسم ونوازع الروح، ولا هو يتوتّر بسبب عدم قبول كل الأمم دين الإسلام. فالقرآن يخاطب نبينا الكريم {فذكر أنما أنت مذكر ليس عليهم بمسيطر}[1] فالسيف آخر مراحل الدعوة، واستخدام السيف ليس لإجبار الناس على الدخول في الدين، بل لإزاحة المستبدين الظالمين عن الأمم المستعبدة والتي تمنع المستضعفين من الإطّلاع على رسالة الله.

والقرآن أيضًا يخلص النفس المؤمنة من شوائب المعصية وإدران الشهوات وآفات الهوى لتصير نفسًا روحانية خالصة مخلصة التوجه والهدف والوسيلة، ويلخّص الإمام علي عليه السلام صفات المؤمنين والتي تميز هويتهم عن غيرهم بقوله: "إنّك تري له (أي للمؤمن) قوة في دين، وحزمًا في لين وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعلمًا في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عباده و تجملًا في فاقه، وصبرًا في شدّة، وطلبًا في حلال ونشاطًا في هدى، وتحرجًا في طمع [...] يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لايضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالألقاب ولايضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق"[2]. وحرص القرآن على الوحدة الإسلامية المؤمنة، ومعالجة أسباب الإختلاف بين المسلمين وإيجاد أرضية مشتركة بين كل المؤمنين، لإيجادها من الإختلاف المسموح به في نطاق الإسلام والقائم أصلًا على حرية الإختيار.

هوية الأمّة المؤمنه من منظور القرآن الكريم

بعد أن أقر القرآن الكريم الهوية الفردية للإنسان المؤمن، أكد على هوية الأمّة المؤمنة، فهي أمّة واحدة: {وإن هذه أمتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}[3]، تعبد الله بصفة عامة وتحمي المجتمع من منافقي الهوية، ومن مثيري الفتن، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتسعى ككل الى إصلاح المجتمع المؤمن وتحصينه من الأطماع الخارجية الظالمة.

هوية الأمة تنطلق من قوانين التعايش الإجمالي السلمي بين أفرادها بإختلاف مذاهبهم طالما أن كل الجماعة الصالحة تؤمن بالله الواحد وتصلي إلى قبلة واحدة، لا يكفر أحدًا أحد، ولا يلوم أحدٌ أحدًا على ما اعتقد أنه صواب، طالما أنه يستقي أصول مذهبه من القرآن وسنة نبيّه الأعظم، وكل مؤمن مسؤول أمام الله والمجتمع الصالح، هذه المسؤولية الثانية بين طوائف الأمة وطبقاتها تمليها شريعة متناسقة في عقائدها وتكاليفها، ولولا هذا التناسق لكان إضطلاع الأمة بمسؤولياتها العامة من النقائض التي لا تعقل في قسطاس العدل أو في منطق الواقع، لأنها تسوم الناس من جانب ما تبطله من الجانب الآخر[4]. ومن الأمّة المؤمنة تنطلق كل دلائل الخير لتشيع التسامح والتراحم والتعاطف لتكون الجماعة المؤمنة نموذجًا للإنسان المثالي الذي يطبّق القوانين التي وضعها الله لكي يكون الإنسان مستحقًا لخلافة الله في أرضه.

---

[1] سورة **الغاشية**، الآيتان 21 و22.

[2] **نهج البلاغة**، (بيروت: دار الفكر)، الجزء 2، الصفحة 164.

[3] سورة **الأنبياء**، الآية 92

[4] **حقائق الإسلام**، مصدر سابق، الآية 119.

على أنّ الأمّة الإسلاميّة بهويّتها الجماعية المميزة عليها أن تتفق على أصول الوحدة، والإيمان يقينًا بأن صلاح الأمة في وحدتها.

ولا يعيب الإسلام أن المسلمين إختلفوا ولم يتركوا هامشًا للإختلاف، ولا يعيب دين الله أن المسلمين ضيعوا الحق فيما بينهم وصار بأسهم بينهم شديدًا، فالقرآن الكريم الكتاب الخالد، الذي حفظه الله، هو ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الكتاب الداعي جميع الأمم لنبذ التعصب للأباء والعشيرة، ونبذ التعصب للأفكار الوضعية، وعلى الجميع اللجوء إلى الحكمة والموعظة الحسنة عند النقاش للوصول إلى الحد الأدنى للوحدة وتلك تحتاج لأبحاث أخرى إجتهادية كثيرة.

ويقينًا إن العالم بأسره عائلة واحدة خلقها الله من أب واحد، لا يتميز فيها إنسان على إنسان سوى بالتقوى، التقوى التي تحدّد الهويّة القرآنية المؤمنة التي لا تتميز عن الآخرين بعرف أو لون أو جنس، والإمتياز الوحيد هو المسؤولية الكاملة عن وعي شامل بخلافة الله، وهو امتياز مكلف للنفس المؤمنة، ولكنه تكليف يزيد المؤمن تشريفًا وإرتقاء، والله سبحانه وتعالى يقول في قرآنه الكريم: {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون}[1].

فوراثة الأرض من قبل العباد الصالحين هي التي تحدد هوية المؤمن، وتحدد موطنه؛ هويته الصلاح والايمان وموطنه كل بقاع الأرض.

[1] سورة **الأنبياء**، الآية 105.